مجلة المختار للعلوم الإنسانية 28 (1): 330-344، 2015

Research Article Open Access

دور القبائل العربية في الجهاد بالأندلس من خلال الشعر والأدب (عصر الموحدين)

موسى محمد بدر

Doi: https://doi.org/10.54172/aw5j8411

المستخلص: تهدف الدراسة الحالية إلى مناقشة دور القبائل العربية في الجهاد بالأندلس من خلال الشعر والأدب ((عصر الموحدين)) فقد أظهرت العروبة عنصراً بارزا في شعر الجهاد حيث أشاد الشعراء بمواقف العرب في نصرة الدين والدفاع عنه ، وتحمل تبعاته كما أشادوا بقوة أولئك العرب ، وعزتهم وشجاعتهم ، وشهامتهم ، والشعراء في ذلك يصدرون عن روح إسلامي عميق ربطوا بينه وبين العروبة برباط متين . من الأمور التي تركت لمسات واضحة في شعر الجهاد بالأندلس وخاصة إبان قيام دولة الموحدين، الدور الذي اضطلعت به القبائل العربية في جهاد الصليبيين وعندما نتحدث عن دور العرب فإننا لا نتحدث عن العرب الفاتحين الأوائل والذين أقاموا دولاً بالأندلس ، وإنما نعني تلك القبائل العربية التي هاجرت من اليمن وشبه الجزيرة العربية، واستوطنت صعيد مصر أولا، ثم طردهم الفاطميون في القرن الخامس الهجري إلى أفريقيا وتضم هذه القبائل بني هلال، وبني سُلَيمْ وعرب المعقل ولما فتح الموحدون أفريقيا قدم على الخليفة عبد المؤمن أمراء تلك القبائل فتلقاهم بالمبرّة، وأحسن إليهم غير أن الهلاليين شغبوا على الموحدين وتحدوهم، فلقيتهم جيوش الخلافة وهزمتهم هزيمة منكرة في منطقة يقال لها "سطيف " وفي إثر هذه الهزيمة راجع الهلاليون بصائرهم، واستكانوا لعزّ الموحدين، ووفدوا على الخليفة عبد المؤمن في مراكش فأكرم زعماءهم وأطلق سراحهم ورد سباياهم.

الكلمات المفتاحية: الجهاد، الأندلس، عصر الموحدين.

The Role of Arab Tribes in the Jihad in Al-Andalus through Poetry and Literature (Almohadeen Era)

Musa Muhammad Bader

Abstract: The current study aims to discuss the role of Arab tribes in the Jihad in Al-Andalus through poetry and literature (during the Almohadeen era). Arab identity has emerged prominently in Jihad poetry, where poets praised the Arabs' positions in supporting and defending the religion, bearing its consequences, as well as lauding their strength, dignity, courage, and chivalry. Poets, in doing so, expressed a deep Islamic spirit, firmly connecting it with Arab identity. Among the significant influences left on Jihad poetry in Al-Andalus, especially during the rise of the Almohadeen state, is the role played by Arab tribes in the Crusades. When we speak of the role of Arabs, we do not mean the initial conquering Arabs who established states in Al-Andalus, but rather those Arab tribes that migrated from Yemen and the Arabian Peninsula, settling first in Upper Egypt, then being expelled by the Fatimids in the fifth century Hijri to Africa. These tribes include the Bani Hilal, Bani Sulaym, and the Arab tribes of Al-Maql. When Almohadeen conquered Africa, leaders of these tribes presented themselves to the caliph, Abd al-Mu'min, who received them kindly. However, the Hilalians rebelled against the Almohadeen, challenging them. They were met by the caliphate's armies and decisively defeated in an area known as "Setif." After this defeat, the Hilalians reconsidered their position, submitted to the might of the Almohadeen, and sent representatives to the caliph, Abd al-Mu'min, in Marrakech. He honored their leaders, released their prisoners, and returned their captives.

Keywords: Aljihad, Al-Andalus, Almohadeen era.

The Author(s) 2023. This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/) , which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium ,provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

من الأمور التي تركت لمسات واضحة في شعر الجهاد بالأندلس وخاصة إبان قيام دولة الموحدين ، الدور الذي اضطلعت به القبائل العربية في جهاد الصليبين وعندما نتحدث عن دور العرب فإننا لا نتحدث عن العرب الفاتحين الأوائل والذين أقاموا دولاً بالأندلس ، وإنما نعني تلك القبائل العربية التي هاجرت من اليمن وشبه الجزيرة العربية ، واستوطنت صعيد مصر أولا ، ثم طردهم الفاطميون في القرن الخامس الهجري إلى أفريقيا [1] وتضم هذه القبائل بني هلال ، وبني سُلَيمْ وعرب المعقل [2] ولما فتح الموحدون أفريقية قدم على الخليفة عبد المؤمن أمراء تلك القبائل فتلقاهم بالمبرّة ، وأحسن إليهم غير أن الهلاليين شغبوا على الموحدين وتحدوهم ، فلقيتهم جيوش الخلافة وهزمتهم هزيمة منكرة في منطقة يقال لها "سطيف "[3] وفي إثر هذه الهزيمة راجع الهلاليون بصائرهم ، واستكانوا لعزّ الموحدين ، ووفدوا على الخليفة عبد المؤمن في مراكش فأكرم زعماءهم وأطلق سراحهم ورد سباياهم[4] .

وما كادت جيوش الموحدين تقضي على تشغيب بني هلال حتى بلغ عبد المؤمن أن بني سليم قاموا في (قابس) [5] فخاطبهم بشعر طويل من قول القاضي ابن عمران منه [6]:

أسليم دعوة ذي إخاءٍ مُرشد ❖ هادٍ إلى الحق المبين المسعد

ومذكراً ما كان من أسلافكم ❖ فضلـــــوا به أفعال كل مسدد

ثم كتب لهم شعرا ثانيا من نظم ابن طفيل[7] يستدعيهم ويحثهم على الهدوء والسكينة ، إلا أنهم لم يستجيبوا له ، فجهز الموحدون لهم جيشا هزمهم[8] وكذلك عادت قبائل بني هلال إلى التشغيب ، فسرح لهم عبد المؤمن جيشا نازلهم قرب مدينة القيروان ، وأوقع بهم ، وقتل شيخهم[9] وأمر بعدم المساس بالغنائم التي غنمها من هذه القبائل بل أمر بحراستها ، وحين أقبلت عليه وفودهم أكرم مثواهم وأحسن إليهم وردّ إليهم ما غنمه منهم وافيا غير منقوص. [10]

واستطاع عبد المؤمن بهذا الصنيع الجميل أن يستميل تلك القبائل العربية إليه ، ويسلس له قيادهم ، ولم يعد من حركته تلك إلى أفريقية إلا وقد تبعه حشود ضخمة من العرب [11] ورأى الخلفاء الموحدون الذين جاءوا بعد عبد المؤمن أن سياسة اللين والمهادنة التي اتخذها هذا الخليفة ، يمكن أن تساعد في استمالة هذه القبائل الجانحة للفوضى والخروج على السلطان ، ووقوفها في صف الدولة فأجزلوا لهم العطاء ، ويتحدث ابن صاحب الصلاة وهو مؤرخ من مؤرخي دولة الموحدين عن مآدب الطعام الضخمة التي كانت تقام لهم ، و الأعطيات الجزيلة التي كانوا يختصونهم بها ، والكسوات العجيبة التي كانوا يسدلونها عليهم[12] ويبدو أن رغبة أكيدة في الاستفادة من قوة هذه القبائل العربية في جهاد العدو الصليبي في الأندلس كانت ضمن مخطط

الموحدين يقول ابن خلدون "ولم يزل الموحدون يستنفرونهم في جهادهم في الأندلس وربما بعثوا إليهم في ذلك المخاطبات الشعرية[13] فعندما أراد الخليفة عبد المؤمن العبور إلى الأندلس استنفر القبائل الهلالية[14] وكذلك استدعى الخليفة يوسف العرب ، إلى الجهاد بكتاب بعثه إليهم وقصيدة يحرضهم فيها على الجهاد ويستدعيهم إلى الغزو وعلى الاستعداد ويصفهم فيه بما هم فيه من الزعامة والشهامة ويشيد بهم غاية استدنائهم[15] .

وكثيراً ما كانت القبائل العربية تلبي النداء ، ويدفعها إلى ذلك العقيدة الإسلامية والإيمان بالجهاد وسيلة للدفاع عن حرمة الدين والوطن وقد تكرر هذا الأمر من أبي يعقوب كثيراً[16] وعندما جاز عبد المؤمن إلى الأندلس سنة 555هـ عبرت معه حشود ضخمة من العرب .. وقد وصلت الى الخليفة جموع وفيرة منهم وقد كان يوم قدومهم مشهوداً [17].

أما الخليفة المنصور فقد وصل إليه من العرب أمم لا يعلمهم إلا الله ولا يحصيهم ... وجاءوا كأمواج البحر في جيوش لا يضل على مصباحها الساري [18].

وقد شكل متطوعة هذه القبائل العربية فئة هامة في الجيش الموحدي ، أبلت في جهاد الأعداء والدفاع عن حوزة الإسلام بلاء حسنا ظهر ذلك في مرحلة مبكرة من مراحل تاريخ الدولة الموحدية ، حيث كان يجوز هؤلاء المتطوعون إلى الأندلس فمثلا في سنة 560هـ تحرك السيد أبو حفص[19] إلى الأندلس على رأس جيش صحبه في عبوره جملة وافرة من العرب تقدم بهم إلى أشبيلية ، وقرطبة ، لحماية ثغورها[20] كما توجهت مجموعة أخرى من هؤلاء العرب إلى بطليموس وانتصرت على حامية المدينة ، وتوجهت أخرى إلى غرناطة ، ورابعة لمقاتلة ابن مردنيش[21] وفي سنة 561هـ وجه الخليفة يوسف جيشا من العرب إلى أشبيلية وفي سنة 563 هـ وجه جيشا أخر إلى قرطبة[22] وفي السنوات (565هـ 566-608هـ) اشترك جند القبائل العربية في فتح بطليموس وبسطة ، وشلبطره وتمكنوا من فتح هذا الحصن وقتلوا كثيرا من فرسان النصارى [23] .

هذه بعض الأمثلة التي تشير الى اشتراك العرب المسلمين الذين يقطنون أفريقية في الدفاع عن الإسلام في الأندلس مع الموحدين ، وقد كان لهذا الدور أصداء واضحة خاصة في شعر الجهاد حيث توالت القصائد التي تستنفر عرب هذه القبائل وتدعوهم إلى الإسراع والالتحاق بركب الدولة ، ثم التوجه إلى ميادين الجهاد في الأندلس ، لحرب الصليبين ، وإعلاء كلمة التوحيد ، وقد بذل الشعراء وسعهم في ذلك فقد أشادوا بمواقف هذه القبائل من الإسلام وحمل لوائه منذ انبثق نوره في جزيرتهم وبصَّروهم بالخطر المحدق بالدين الحنيف ، وحملوهم مسؤولية الاشتراك في الدفاع عنه كما أشادوا بشرف أرومتهم ومضاء عزيمتهم وخبرتهم وكفايتهم في الحروب وشجاعتهم في النزال ، وكان الخليفة يوسف بن عبد المؤمن من أبرز الخلفاء الموحدين الذين

لجأوا الى سياسة استنفار القبائل العربية ، واستدعائها من أفريقيا فمثلا في سنة 566هـ وجه قصيدة من إنشاء الشاعر ابن طفيل إلى بني هلال يستدعيهم ويحرضهم على الجهاد جاء فيها [24]:

ألافـــا بعثـوها همة عربيـــــة ❖ تُحفّ بأطراف القنا والقواضـب

أفرسان قيس من هلال ابن عامر ❖ وما جمعت من طاعن ومضارب

لكـــم قبـــة المجد شدّوا عمـــادها ❖ بطاعة أمر الله من كل جانب

وما خُلُق الأعراب إخلاف موعد ❖ ولكنَّ صدق الوعد خلق الأعارب

فالشاعر يناشد بني هلال على لسان الخليفة ، ويحثهم على الجهاد فيستثير النخوة ، والحمية في نفوسهم ، ويشيد بعلو همتهم وبشجاعتهم ويذكرهم بأمجادهم القديمة ، ويدعوهم إلى المحافظة عليها بطاعة أمر الله في جهاد الأعداء ، ويصفهم بالوفاء والمحافظة على الوفاء بالعهود ويقول من القصيدة نفسها :

وقوموا لنصر الدين قومة ثائر ❖ وفيئوا إلى التحقيق فيئة راغب

فـقومـــوا كمـا قامـــــت أوائلكم ❖ ولا تغفلوا إحياء تلك المناقب

وقـد جعـل اللـــه النبـــي وآله ❖ ومهديَّه منكم بلا عيب عائب

هـــــو الأمـــر أمـر منجٍ ومسعد ❖ ولكل منيب ناصح الجيب تائب

رأينا الشاعر في الأبيات السابقة يركز على مخاطبة المشاعر العربية الأصيلة لدى تلك القبائل ، وأما في هذه الأبيات فإنه يركز على استثارة المشاعر الإسلامية التي تعمقت في نفوسهم ، وهنا قد ربط بين العروبة والإسلام حتى أن المرء لا يستطيع الفصل ما بين استثارة المشاعر الدينية والحمية العربية حيث اتكأ الشاعر في استثارته على استيحاء التاريخ الأول لهذه القبائل التي أبلت في حمل الرسالة الإسلامية ونشرها كما ذكرها بالروابط التي تربطها بالإسلام وتربط الإسلام بها كما لم ينس أن يذكر هذه القبائل بأن المهدي منشئ هذه الدولة يعود الى هذه الفروع الزكية . [25]

وقد نحا الشاعر ابن عياش[26] نحو ابن طفيل في أبياته التالية التي دعا فيها هذه القبائل الى نصرة الدين ، والدفاع عنه ، وقد قدّم بين يدي دعوته أساليب استثارة مستوحاة من القيم العربية حيث زين لهم النتائج التي يحققونها من الغزو ، فهو يحقق المجد الحربي الذي يفتخرون به ويطمحون إليه كما أشاد بأصالة نسبهم ، وشجاعة فرسانهم ، وذكّرهم بصلة القرابة التي تربط الموحدين بهم ، وقد كان الشاعر لَبِقاً في هذه الناحية ،

حيث خاطب العرب بقوله : " بني العم " فلهذا التعبير في هذا الجو نداوة رضية تمس القلوب وروح رضي يلمس النفوس حيث يقول :

أقيموا إلى العلياء عوج الرواحل ❖ وقودوا إلى الهيجاء جرد الصواهل

وقــوموا لنصــر الدين قومة ثائر ❖ وشدوا على الأعداء شدة صائل

وأســرو بنى قيس إلى نيل غاية ❖ من المجد تجنى عند برد الأصائل

إلى أن يقول :

بني العم من عليا هلال بن عامر ❖ وما جمعت من باسل وابن باسل

تعــالوا فقــد شُدّت إلى الغزونية ❖ عــواقبها مقصــورة بالأوائل

فطـيروا إليهــا يا هلال بن عامــر ❖ ثقالا خفــافا بين حافٍ وناعل

والقصيدة تقع في حوالي اثنين وعشرين بيتا

ومن تلك القصائد التي خاطب بها الشعراء قبائل العرب في أفريقية قصيدة أبي العباس الجراوي[27] التي مدح فيها وفود بني هلال التي وفدت إلى الحضرة الموحدية حيث يمضي قسم كبير من القصيدة في الإشادة بأمجاد تلك القبيلة وأصالة نسبها ، وكرم أجدادها ، وشجاعتهم ، وثقلهم السياسي ومكانتهم وحكمتهم ووضاحتهم فيقول :

أحاطت بغايات العلا والمفاخــر ❖ على قدم الدنيا هلال بن عامر

وزانوا سماء المجد بدءاً وعودةً ❖ بزهر خصال كالنجوم الزواهر

أوائلهم في الجود والبأس غاية ❖ وكــــم تركوا من غاية للأواخر

وكم فيهم من مثل كعب وحــــاتم ❖ وكم منهم من مثل عمرو وعامر

وكم قد أقاموا من عروش موائلٍ ❖ وكم قد أقاموا من جدود عواثر

وكم لهم من حكمة تبهر الندى ❖ ومن مثل في الشرق والغرب سائر

ويمضي قسم آخر من القصيدة في الإشادة بالأبناء وبمحافظتهم على أمجاد الآباء ومفاخرهم ، منوهاً على شجاعتهم ، وقوتهم وتمرسهم بفنون القتال ومهارتهم في رد كيد المعتدين ، وفي ظل هذه الإشادة المستمرة يتوجه أبو العباس الجراوي بدعوة إلى بني هلال إلى الالتحاق بالجيوش الموحدية المجاهدة ، وهو في ذلك ما يزال يستثير همم هذه القبيلة ، فيصف أبناءها بالعزم والتصميم ورجاحة العقل فمثلهم لا يتأخر عن هذا المسعى الحميد فيقول :

بني عامر أنتم صميم فصمموا ❖ إلى الموت تصميم الليوث الخوادر

ولا تتوانوا في حظوظ نفوسكم ❖ فإنكم أهـــل النهـــي والبصـــــائر

والشاعر لا يدعو هذه القبائل العربية من أجل مطمع شخصي أو غاية ذاتية ، وإنما يدعوها إلى جهاد الكفار وإلحاق الهزيمة بهم ، ابتغاء الأجر وطلب الثواب ، وذوداً عن حياض الأندلس :

ولا بد من يوم على الكافر أيوم ❖ تعم به الدنيا وفود البشائر

وقد كان لهذه المخاطبات المتوالية فعل السحر في نفوس أبناء القبائل العربية ، فقد لبوّا النداء ، والتحقوا بالجيوش الإسلامية المجاهدة في الأندلس ، وأبلوا في قتال الأعداء و أشاد الشعراء بالدور الذي اضطلع به العرب في جهاد الكفار فتحدثوا عن قوة فرسانهم ، وشجاعة أبنائهم ، وبسالة جندهم في الدفاع عن الإسلام وحمايته ، والشعراء في ذلك يصدرون عن روح إسلامية عميقة .

فهذا الخليفة عبد المؤمن يعد أهل الأندلس بغزوة كبرى تشفي صدور المؤمنين ، جهز لها جيشا ضخما من العرب المتمرسين بفنون القتال ، فيقول[28] :

ولا بـــد من يـــــوم أغـــرّ مُحَجَّل ❖ يُسيل دماء الكفر في كل مذنب

وتشفي صدور المؤمنين بغزوة ❖ تكون على حكم الحسام المذرب

ويغزو بلاد الروم جيش عرمرم ❖ تخيّر من قيس وأبناء يعرب

وعندما جاز الخليفة عبد المؤمن سنة 555هـ إلى الأندلس عبر معه جيش ضخم من العرب للجهاد في الأندلس ويشير شاعر مجهول من أهل الأندلس بقدوم هذا الجيش الذي سيفتك بالنصارى في عقر دارهم فقال :

نبشركـــم أنَّا اهتممـــنا بأمركـــم ❖ فلبتكم منـــا المسومـــة الجـــرد

ويصحبنا من خالص العرب معشر ❖ أنابوا فما رُدّوا وتابوا فما ارتدّوا

ستغزو بلاد الروم منهم عصائب ❖ وتحمي حمى التوحيد من خيلهم جند

جيـــوش بنصر الله تهمي عليكم ❖ يروق بهـــــا وهد ويزهو بها نجد

ويشجـــى لمرآها الأعـــادي كأنما ❖ عليهـــــم بها صُمٌّ الشوامخ تنهد

ستعلم أرض الروم أي فـوارس ❖ على ظهرها منهم إذا وفد الوفـد[29]

وندرك من الأبيات تـطوع كثير من العرب للجهاد في الأندلس ، وقد أوحى ذلك إلى الشاعر بالإشادة بهم على هذا النحو ، وهي إشادة أظهر فيها أن الدولة الإسلامية هي من نسيج واحد ، فالحرب التي سيخوضها هؤلاء العرب ليست حرب أوطان ، ولا حرب أجناس ، وإنما هي حرب إسلامية شاملة يقول الأصم المرواني في هذا المعنى من قصيدة في المناسبة السابقة :

حـــدّث من الروم أقطار أنـــدلس ❖ والبحر قد ملأ العبرين بالعـــرب

من كل من يترك الهيجاء في حلك ❖ جمراً إذا أخضرت الغبراء بالعشب

تقـــلب بين مشتـــــاة وهاجرة ❖ تقلب السيـــف بين الماء واللهب

يرمى بهم ظهر طِرْفٍ بطن سابحة ❖ فالبر في شغل و البحر في صخب

وتعبر البحر منهم نار عـــــادية ❖ يصلى به عابد الأوثان والصلب [30]

وعندما أبلى الفرسان العرب في أحد الحصون[31] الأندلسية بلاء حسناً قال أبو العباس الجراري :

أتممت ما قد أملوه ففاتهم ❖ من نصر دين الواحد القهار

بعراب خيل فوقهن أعـــارب ❖ من كل مقتحم على الأخطار

أكـــرم بهـــــن قبائلا إقلالها ❖ في الحرب يغنيها عن الأكثار

هم أظهروا دين النبي وواجب ❖ أن يتبعوا الإظهار بالإظهار[32]

ويصور الشاعر في هذه الأبيات الوشائج القوية التي تربط العروبة بالإسلام فهو عندما يشيد بالدور الذي اضطلع به العرب في جهاد الصليبين في الأندلس يعدّ ذلك استمراراً لما بذله آباؤهم وأجدادهم في حمل الرسالة الإسلامية ونشرها ويدعوهم إلى مواصلة الدفاع عن الدين الحنيف ، والانتصار له ؛ لأن ذلك فرض عليهم كما كان فرضاً على الذين خلوا من قبلهم ..

وقد أشاد الشاعر بن حربون بهذه القبائل عندما عبر السيد أبو حفص[33] عام 560هـ إلى الأندلس في حشود ضخمة من هؤلاء العرب فقال :

جمعتم من بني قيس شعوباً ❖ تسيل بها المجاني والشعاب

تجانس جيشهم لفظاً ومعنى ❖ فهم عُربٌ وخيلهم عرابُ [34]

وربما أوحى اشتراك العرب في المعارك ضد الصليبيين وحسن بلائهم فيها وما ترتب على ذلك من إشادة بهم تعتمد على استيحاء تاريخهم الإسلامي الأول .

ربما أوحى ذلك إلى الشعراء أن ينعتوا الصليبيين (بالعجم) ويعمموا وصف العرب على جميع المسلمين وهنا تمتزج العروبة بالإسلام امتزاجاً عجيباً ، حتى ليخيل إلى المرء أنه ليس ثمة فارق بين دافع ديني إلى الجهاد ، أو حمية عربية تحفز على القتال ولعل مكان العرب في التاريخ الإسلامي ، وارتباطهم بالحياة الأولى للإسلام ، قد جعل للعروبة أكثر من مجرد معنى عرضي بل أصبحت هي والإسلام من مادة واحدة فهذا ابن حربون يهدد "العجم" بالعرب المسلمين الذين سيدلفون إليهم على صهوات خيلهم الأصيلة فيقول :

وبشر العجم أن العرب قد دلفت ❖ على العراب وان الملتقى صدد[35]

كما أشار الشاعر نفسه إلى أنفة العرب المسلمين من الخضوع للأعاجم الصليبيين في فتح بطليموس :

فسعدك مولانا حمدنا ولم تكن ❖ لتحمد هذي العرب تلك الأعاجما [36]

كما أن الشاعر أبو عمر الأشيري نوه بدور العرب القادمين من أفريقية ودورهم المحمود في معركة السبطاط حيث أشاد بهذا الدور وتحدث عن شجاعة الفرسان العرب المسلمين وعنف فتكهم بالأعاجم الصليبيين وإهانتهم لهم [37]، فيقول [38]:

جيش من العرب الذين إذا غزوا ❖ كووا الأعاجم في الطُّلا بملاط

قوم إذا شمخ الزمان بأنفه ❖ وضعوا السُّيوف مواضع الأسواط

وعندما سقطت ((بلنسية)) وجه شاعر مجهول قصيدة إلى صاحب أفريقية يحثه على توجيه العرب إلى الأندلس وإرسال الإغاثة لأهلها فيقول :

مولاي هاك معادة أنباءها ❖ لتنيل منك سعادة أبناءها

إن الأعاجم للأعارب نهبة ❖ مهما أمرت بغزوها أحياءها

تالله لودبَّت لها دبّابها ❖ لطوت عليها أرضها وسماءها

لم يسلخ الشاعر في أبياته السابقة العروبة من رسالتها الكبرى ، وإنما هي سبيل الله للدفاع عن تلك الرسالة ، وحمل لوائها ، فهو يبشر الأمير الحفصي بقوة من القبائل العربية ، ويدعوه إلى استقطابها والاستفادة من طاقاتها ، وحشد إمكانياتها لجهاد المشركين في بلاد الأندلس ، والشاعر لم يذكر قبائل العرب خاصة إلا لإيمانه القوي بالوشائج المتينة التي تربطهم بالإسلام وتحفزهم على تلبية النداء والاستماتة في الدفاع عن الدين الحنيف .

وعندما أوشكت "أشبيلية" على السقوط بعث ابن سهل الأشبيلي بقصيدة إلى عرب المعقل يستفزهم ويحثهم على الجهاد جاء فيها : (39)

يا معشر العرب الذين توارثوا ❖ شيم الحمية كابراً عن كابر

لكم صرائم لو ركبتم بعضها ❖ أغنتكم عن كل طرف مضمر

ولــو أنكم جهزتـــم عزماتكم ❖ لهزمتم منها العدو بعسكر

أيـــن الحفائظ مالها لا تنبعث ❖ أين الغزائم مالها لا تنبري

أيهـــــزّ منكم فارس في كفه ❖ سيفا ودين محمد لم ينصر

فهذه الأبيات تثير المشاعر الإسلامية والحمية العربية معاً فعندما يحث الشاعر العرب على جهاد الأعداء فإنه يلفتهم إلى تصور واقع الإسلام في الأندلس ويؤكد لهم ارتباطهم بهذا الدين الذي يهتف بهم مستنجدا ، ويحدد لهم مسؤولياتهم تجاهه ، ويتخلل ذلك إشادة بقوة العرب ، وشجاعتهم ، وشهامتهم التي تأبى عليهم رؤية الخطر محدقاً بالإسلام ثم لا يخرجون للدفاع عنه .

وهكذا أبرز الشعراء الدور الذي اضطلع به العرب في جهاد الصليبين في الأندلس وخاصة في عهد الدولة الموحدية ، وقد كان هذا الدور واسعا إلى حد جعل الشعراء يتصورون الصراع بين عرب وعجم دون أن يخرجوه من إطاره الإسلامي الشامل فيفصلوا العروبة عن الإسلام ، أو يفصلوا الإسلام عن العروبة ومن ثم فقد عدّ الشعراء جهاد الصليبين فرضا على العرب المسلمين ، وعدّوا هذا الجهاد امتدادا لجهاد آبائهم وأجدادهم في فترة الإسلام الأولى بل إنهم ذهبوا في ذلك إلى حد عُدّ فيه الشعراء العرب أحق الناس بالدفاع عن الدين الحنيف .

والشعراء إذ يفعلون ذلك ينطلقون من أساس فكري وثيق وهو إيمانهم العميق بالأواصر القائمة بين العروبة والإسلام.

حتى بات كل منهما يمثل جزءاً من حقيقة الآخر ، فهم حيث يتصورون هذا الدين لا يستطيعون نسيان العرب الذين آمنوا به وطافوا أرجاء العالمين برسالته وكذلك حين يتصورون العرب لم ينسوا هذه الرسالة الخالدة التي خالطت نفوسهم وأعلت من شأنهم وأنشأتهم خلقاً آخر .

لذلك فقد ظهرت العروبة عنصراً بارزا في شعر الجهاد . فأشاد الشعراء بمواقف العرب في نصرة الدين والدفاع عنه ، وتحمل تبعاته كما أشادوا بقوة أولئك العرب ، وعزتهم وشجاعتهم ، وشهامتهم ، والشعراء في ذلك يصدرون عن روح إسلامي عميق ربطوا بينه وبين العروبة برباط متين .

هوامش البحث

1- تاريخ ابن خلدون ج6. ص 28

2- قبائل المغرب ص412 .

3- الروض المعطار ، ص318 .

4- تاريخ ابن خلدون ج6 - ص44- الحلل السندسية ج1 ق1 ص478 .

5- الروض المعطار ص450 .

6- البيان المغرب ص 62 – 63 .

7- ابن طفيل : أبوبكر محمد بن عبد الملك القيسي كان طبيباً كاتباً أديباً كتب لبعض ولاة الأندلس : تحفة القادم ص96

8- البيان المغرب ص63 .

9- رحلة التيجاني ص341 - رسائل موحدية ص113 .

10- أخبار المهدي ص117 .

11- المن بالإمامة ص144 .

12- المن بالإمامة ص398-433-437 البيان المغرب ص138 .

13- تاريخ ابن خلدون ج6 – ص44 .

14- المعجب ص313 .

15- البيان المغرب ص88 المن بالإمامة ص411-417 .

16- المن بالإمامة ص411 .

17- البيان المغرب ص92- المن بالإمامة ص417 – الاستقصا 149/2 .

18- البيان المغرب ص112- المن بالإمامة ص417 – الاستقصا ج141/2 .

19- أبو حفص : أحد أمراء الموحدين استعمله إخوته كثيراً في قيادة الجيوش إلى الأندلس .

20- المن بالإمامة ص350 - البيان المغرب 88-89 .

21- ابن مردنيش : محمد بن سعد أحد الثائرين الذين ظهروا بالأندلس توفي سنة 567هـ . المن بالإمامة هامش 1 ص65 وما بعدها .

22- المن بالإمامة ص355.

23- المن بالإمامة ص400 – البيان المغرب ص213 .

24- المن بالإمامة : ص412 – البيان المغرب ص86 .

25- المن بالإمامة ص412 -413 – البيان المغرب ص80 .

26- ابن عياش : من كتاب الدولة الموحدية كتب للأمير يعقوب ابن يوسف بن عبد المؤمن – البيان المغرب ص70 .

27- الجراوي : أبو العباس أحمد بن الحسن بن سيد الجراوي تحفة القادم ص59 .

28- المن بالإمامة ص125 – البيان المغرب ص41 .

29- المن بالإمامة ص133 – البيان المغرب ص134 .

30- المن بالإمامة ص160 .

31- حصن بلقون . الروض المعطار.

32- البيان المغرب ص46-47 .

33- المن بالإمامة ص250 .

34- المن بالإمامة ص263 .

35- المن بالإمامة ص255 .

36- المن بالإمامة ص385 .

37- زاد المسافر ص101 .

38- نفح الطيب ج1 ص480-481 .

39- ديوان ابن سهل ص141-142 .

المصادر والمراجع

1- أخبار المهدي بن تومرت وابتداء الدولة الموحدية ، لأبي بكر الصنهاجي المعروف بالبيدق ، بعناية ليفي بروفنسال باريس 1928م .

2- الإستقصاء لأخبار المغرب الأقصى – للسلاوي الناصري أحمد أبو العباس ، تحيق ولدي المؤلف جعفر ومحمد ، الدار البيضاء 1954م .

3- البيان المغرب ، لابن عذارى المراكشي عني بنشره أميروس هويسي ميرانده مع مساهمة محمد بن تاويت ومحمد الكتاني ، معهد مولاي الحسين تطوان 1960م .

4- تاريخ ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، بيروت 1956م .

5- الحلل السندسية في الأخبار التونسية ، تحقيق محمد الحبيب الهيلة ، الدار التونسية للنشر تونس 1970م .

6- ديوان ابن سهل الاشبيلي تحقيق إحسان عباس ، دار صادق ، بيروت ، 1967م .

7- رحلة التيجاني ، أبو عبد الله محمد بن أحمد ، كتابة الدولة للمعارف ، تونس 1985م .

8- رسائل موحدية ، جمع ليفي بروفنسال ، رباط الفتح ، 1941م .

9- الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، مكتبة البيان ، بيروت 1975م .

10- زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر ، تحقيق عبد القادر المحداد ، دار الرائد العربي وبيروت ، 1971م .

11- قبائل المغرب – عبد الوهاب بن منصور ، المطبعة الملكية ، 1968م .

12- المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، عبد الواحد المراكشي ، تحقيق محمد سعيد العريان ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، 1963م .

13- المن بالإمامة ، عبد الملك ابن صاحب الصلاة ، تحقيق عبد الهادي التازي ، دار الأندلس بيروت ط1 ، 1964م .

14- نفح الطيب ، المقرى التلمساني ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، 1968م .